

للمدافعين عن الحرب الإسرائيلية على غزة: لقد انتهت اللعبة



ترجمة وتحرير: نون بوست

بعد مرور ستة أشهر؛ هدم كامل الصرح الذي سمح للقوات الإسرائيلية بقتل أكثر من 33 ألف فلسطيني وجرح 75 ألف آخرين، وتهجير أكثر من 2.3 مليون نسمة ثم تجويعهم، وهدم شمال غزة، وتفكيك الخدمات الصحية، والإشارة إلى أنها نفس الشيء في رفح خلال الأشهر الستة المقبلة.

ويندفع الزعماء السياسيون الذين صوروا هذه المذبحة على أنها حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، والصحفيون الذين روجوا لقصص رعب خيالية عن الأطفال مقطوعي الرأس والاعتصام الجماعي في 7 تشرين الأو/أكتوبر، والمحرمون الذين يتجاهلون يومًا بعد يوم قصصًا عن قوافل المساعدات التي تستهدفها القوات الإسرائيلية، بحثًا عن غطاء لما حدث.

كل الحجج التي استخدموها لمواصلة هذه المذبحة تنهار بين أيديهم: أن هذه حرب عادلة، وأنه يجب السماح لإسرائيل بإنهاء المهمة، وأن الإجراء المتخذ متناسب، وأن العملية القانونية في محكمة العدل الدولية تعيق محادثات السلام ويمكن تجاهلها، وأن المملكة المتحدة والولايات المتحدة يمكنهما توجيه اللوم لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو ومواصلة تسليحه في نفس الوقت.

لقد انهدم السد، ولم يعد بإمكان وزير الخارجية اللورد كاميرون أن يلعب لعبة القط والفأر مع رئيسة اللجنة المختارة للشؤون الخارجية أليسيا كيرنز، التي كشفت قبل بضعة أيام أن محامي الحكومة كانوا على علم بأن إسرائيل قد انتهكت القانون الإنساني الدولي.

ووقع أكثر من 600 محامٍ وأكاديمي وقاضٍ سابق بارز، من بينهم رئيسة المحكمة العليا السابقة ليدي هيل وقاضيتان سابقتان آخرتان في المحكمة، على رسالة تحذر حكومة المملكة المتحدة من أنها تنتهك القانون الدولي من خلال الاستمرار في تسليح إسرائيل.

وتساءل وزير الخارجية السابق السير آلان دنكان كيف يمكن اعتبار إسرائيل حليفة للمملكة المتحدة، ودعا إلى محاسبة مؤيديها الرئيسيين اللورد بولاك واللورد بيكلز وتوم توغندهات على دعمهم لإسرائيل.

وقال لمحطة "إل بي سي" الإذاعية: "أعتقد أن أي شيء يدعم ما يتحول إلى كارثة شاملة في غزة غير مقبول أخلاقياً، وما علينا قبوله هو أن الخطأ ليس ما يفعلونه الآن فحسب، بل إن ما تفعله إسرائيل منذ سنوات هو الخطأ لأن القوات الإسرائيلية لا تتبع القانون الدولي".

وأضاف: "لقد كانت تساعد وتدعم المستوطنين غير الشرعيين في الضفة الغربية الذين يسرقون الأراضي الفلسطينية. في حين أن سرقة الأراضي، وضم فلسطين، هو أصل المشكلة، والذي أدى إلى هجوم حماس والمعارك التي نشهدها".

اندفاع نحو الحافة

المزاج العام يتغير بالفعل؛ فقد أظهر استطلاع للرأي أجرته مؤسسة يوجوف أن 56 بالمائة من الناخبين البريطانيين يؤيدون الآن فرض حظر على تصدير الأسلحة وقطع الغيار، بينما يقول 59 بالمائة أن إسرائيل تنتهك حقوق الإنسان في غزة.

وأظهر الاستطلاع دعماً قوياً لحظر تصدير الأسلحة بين الناخبين الذين يعتزمون التصويت لحزب العمال في الانتخابات المقبلة؛ حيث أيد 71 بالمائة ممن كانوا يعتزمون التصويت لحزب العمال حظر تصدير الأسلحة مقابل 9 بالمائة رفضوا، في حين أيد ناخبو الديمقراطيين الأحرار الحظر بنسبة 70 بالمائة مقابل 14 بالمائة، والناخبين المحافظين بنسبة 38 بالمائة مقابل 36 بالمائة.

ورداً على سؤال عما إذا كانت إسرائيل تنتهك حقوق الإنسان، قال ناخبو حزب المحافظين بأغلبية اثنين إلى واحد إن إسرائيل تفعل ذلك، لقد كان دنكان يعبر عن المزاج العام في حزبه.

لقد تم وضع كامبرون في موقف سيء على العلن، وعليه أن يختار؛ فإما أن يعترف بأن الحكومة تنتهك القانون الدولي بالفعل، وأنه من الممكن محاكمتها بهذا الصدد. بما في ذلك هو شخصياً. أو أن يوقف تجارة السلاح.

والرسالة ليست من عمل الناشطين المؤيدين للفلسطينيين؛ بل من قبل نخبة المؤسسة القانونية الناطقة، شخصيات مثل قضاة المحكمة العليا السابقين اللورد سومبشن واللورد ويلسون، وقضاة الاستئناف السابقين السير ريتشارد أيكينز، والسير أنتوني هوبر، والسير آلان موسى، والسير ستيفن سيدلي.

وانضم مؤسسو وشركاء شركات المحاماة الكبرى في المملكة المتحدة بالإضافة إلى أساتذة من جامعة أكسفورد وكلية لندن للاقتصاد وكلية كينجز كولييدج في لندن.

ولكن ما الذي دفع الجميع بالضبط إلى حافة الهاوية هذا الأسبوع؟ ما الذي دفع الصحف الشعبية المؤيدة لإسرائيل للانقلاب عليها؟

لقد حدث الكثير يوم الإثنين 1 نيسان/أبريل قبل ذلك الهجوم على قافلة المطبخ المركزي العالمي. أساكن يحرك أحد يجعل لم لكنه، (WCK)

فقد طلع الصبح بانسحاب القوات الإسرائيلية التي حاصرت مستشفى الشفاء، تاركة المستشفى في حالة خراب وكومة كبيرة من الجثث خلفها، وهنا الجيش الإسرائيلي نفسه على العملية النموذجية.

وأعلن رئيس الوزراء وقائد القوات الخاصة السابق، نفتالي بينيت، على منصة "إكس": "إنجاز مذهل في ساحة المعركة، النتائج رائعة: تم إجلاء 6000 مدني من قبل جيش الدفاع الإسرائيلي للحفاظ على سلامتهم. قتل 200 إرهابي من حماس، وتم القبض على 500 من إرهابيي حماس. * لم يقتل أي مدني * ولا واحد."

لكن هذه لم تكن تجربة الدكتورة أمينة الصفدي، التي تم منحها ساعات لنقل المرضى خارج قسمها،

وتوفي منهم 16 مريضًا كانوا في العناية المركزة، والتي قالت: ”في اليوم الثاني، أجبرونا على نقل جميع المرضى من مكان تواجدنا، قسم العظام في المبنى الرابع، إلى منطقة الاستقبال وأعطونا وقتًا محددًا، مات الكثير منهم، كانوا في العناية المركزة ولم تتمكن من فعل أي شيء لهم“، مضيعة: ”قبل ثلاثة أيام أعطونا هذه الأساور؛ وقالوا إنها للقناصة وأي شخص يغادر المبنى بدونهم سيتم استهدافه“.

ولم تكن هذه هي تجربة رفيق، الشاب الهزيل الذي تحول إلى هيكل عظمي بالكاد يستطيع رفع رأسه، والذي قال: ”لقد عذبونا هناك، لم يكن هناك طعام أو ماء، وبقينا بدون طعام أو ماء لمدة خمسة أيام، كنا نموت، عشنا في عذاب، ولم تكن هناك ضمادات لجروحنا، ولم يكن هناك طعام، أنا غير قادر على تحمل ذلك بعد الآن“.

لقد انتشلت الجرافات جثث المرضى والأطباء، وحتى الموتى، كانوا جميعًا متشابهيين بالنسبة للمحاصرين الذين تركوا وراءهم أرضًا قاحلة.

وكان من بين القتلى اثنان من أكثر الأطباء احترامًا في غزة، الأم والابن؛ حيث تم العثور على أحمد المقادمة، جراح التجميل الفلسطيني في أوائل الثلاثينيات من عمره، ووالدته يسرى المقادمة، طبيبة عامة، إلى جانب جثة ابن عمهما باسم المقادمة، عند الدوار المجاور لمول كارفور في مدينة غزة، على بعد مسافة قصيرة من الشفاء.

هل تم إطلاق النار عليهم من قبل القناصين؟ وكانت أم فلسطينية مدمرة بالكامل، كل ما أرادته هو العثور على جثة ابنها.

خاطبت كل من حولها: ”من فضلكم اكتشفوا أين هو، أين يا الله؟ ساعدوني في العثور عليه، أريد أن أجمع عظامه، لا أريد أن أتركه هنا، من فضلكم ابحثوا عنه“.

كان مستشفى الشفاء في يوم من الأيام أكبر مستشفى في الأراضي المحتلة، ويلبي 30 بالمائة من احتياجات غزة، لم يعد كذلك، وإذا كانت الخطة طوال الوقت تهدف إلى جعل غزة غير صالحة للسكن، فإن تدمير الشفاء كان أمرًا لا غنى عنه لهذا المشروع.

كانت تلك فقط أخبار الصباح يوم الإثنين، وكان هناك الكثير مما يتبعها.

خط أحمر آخر تم تجاوزه

تعهد نتنياهو بإغلاق المكتب الإقليمي لقناة الجزيرة، وكما لو أنه كان يريد محو هذا السجل من المشاهد المروعة.

وكان هذا مسمازًا آخر في نعش السلام المتفاوض عليه، فلم يصل المسؤولون الإسرائيليون حتى الآن إلى حد اتخاذ أي إجراء ضد جوهرة التاج القطري، مع الأخذ في الاعتبار دور قطر في تمويل مشاريع البناء في غزة ودورها في المفاوضات مع الجناح السياسي لحركة حماس، التي تستضيف قطر قيادتها.

ورفضت قناة الجزيرة، التي قتل العديد من صحفييها عمدًا على يد الجيش الإسرائيلي في غزة، الاتهامات بأنها تشكل تهديدًا للأمن القومي الإسرائيلي ووصفتها بأنها ”كذبة خطيرة ومثيرة للسخرية“.

لكن مجرد نقل حقيقة ما يجري في غزة يضر بإسرائيل.

واتهم وزير الاتصالات شلومو كارهي، قناة الجزيرة بتشجيع الأعمال العدائية ضد إسرائيل، وقال: ”من المستحيل التسامح مع وسيلة إعلامية، لديها أوراق اعتماد صحفية من المكتب الصحفي الحكومي ولها مكاتب في إسرائيل، وتعمل من الداخل ضدنا، وبالتأكيد في زمن الحرب“.

هذه هي الطريقة التي تتصرف بها الدولة التي يقال لنا باستمرار أنها تشاركنا قيمنا عندما يحين وقت

الشدة، حرية التعبير؟ قل ذلك لشيرين أبو عاقلة، وسامر أبو دقة، وحمزة الدحدوح، وعدد لا يحصى من الآخرين الذين دفعوا حياتهم ثمنا لعملهم الصحفي.

ثم جاءت الغارة الجوية الإسرائيلية التي دمرت مبنى القنصلية الإيرانية في دمشق، مما أسفر عن مقتل محمد رضا زاهدي، ثاني أكبر قائد في الحرس الثوري الإيراني يموت منذ أمر الرئيس الأمريكي آنذاك دونالد ترامب باغتيال قاسم سليمان.

هذه المرة؛ أبلغت الولايات المتحدة إيران على عجل بأنها لم تلعب أي دور في الضربة الإسرائيلية، لكن الهجوم يمثل تجاوزًا لخط أحمر آخر في ضرب سفارة أو قنصلية.

وعلى نفس المنوال الذي ادعى أن مستشفى الشفاء ليس مستشفى بل مركز قيادة لحماس، قال المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي، دانيال هاغاري، لشبكة "سي إن إن": "أكرر، هذه ليست قنصلية وهذه ليست سفارة، هذا مبنى عسكري لفيلق القدس متنكر بزي مدني في دمشق".

لكن إسرائيل كانت تعرف بالضبط ما فعلته. وما هو الخط الذي كان تعبره، إنها تريد استفزاز إيران ودفعها إلى الحرب، وبحسب وزارة الخارجية الأميركية، فإن الهجوم على سفارة ما يعتبر هجوماً على الدولة التي تمثلها.

إسرائيل تعلم أيضًا أنها لن تستخدم نفس المنطق عندما يتعرض كنيس أو مركز يهودي لضربة انتقامية من قبل وكيل إيراني، ولن تتحمل أي مسؤولية عن تعريض حياة اليهود في جميع أنحاء العالم للخطر، ولكن هذا هو بالتأكيد ما تفعله.

"لا يمكن الدفاع عنه... مروع"

وبعد ذلك؛ وعندها فقط، جاءت الضربة الثلاثية بطائرة مسيرة، وأسفرت عن مقتل سبعة من عمال الإغاثة في المطبخ المركزي العالمي، ثلاثة منهم بريطانيون.

وكان رد فعل الصفحات الأولى في بريطانيا وكندا وبولندا وأستراليا (البلدان الأصلية لعمال الإغاثة القتلى) غاضبًا، وحتى صحيفة ذا صن المؤيدة بشدة لإسرائيل، والتي تملكها مجموعة نيوز يو كيه التابعة لعائلة مردوخ، أصيبت بالذهول.

وكتبت: "كان بطل خدمة الإذاعة الخاصة جون تشابمان، وجندي مشاة البحرية جيمس هندرسون، كانا يسافران في سيارة تحمل علامات واضحة، تديرها منظمة المطبخ المركزي العالمي الخيرية، عندما تعرضت القافلة لقصف بثلاثة صواريخ أطلقتها طائرة مسيرة تابعة للجيش الإسرائيلي".

وقالت وكالة سند للتحقق التابعة لقناة الجزيرة إن عمليات القتل كانت متعمدة، وأنه تم استهداف ثلاث مركبات تابعة للمطبخ المركزي العالمي بعد أن قامت المجموعة بتسليم 100 طن من المساعدات الغذائية إلى مستودع في دير البلح.

وجاء في التقرير أن "المركبة الثانية استهدفت على بعد حوالي 800 متر من مكان إصابة الأولى".

وأضاف أنه "تم استهداف السيارة الثالثة على بعد حوالي 1.6 كيلومتر من السيارة الثانية بحسب موقعها بعد قصفها"، وقال المطبخ المركزي العالمي إن قافلتهم تعرضت للقصف "على الرغم من تنسيق التحركات" مع الجيش الإسرائيلي.

فكيف يختلف هذا الهجوم المتكرر على القافلة عن كل الهجمات الأخرى على قوافل الأونروا والتي أسفرت عن مئات القتلى والتي أدت إلى حصار الشفاء؟

والفرق الوحيد هو أن سبعة من عمال الإغاثة القتلى كانوا بريطانيين وبولنديين وأستراليين وكنديين، وأن

المؤسس كان طاهياً مشهوراً.

وقال نيك فيراري، مقدم برامج على محطة "إل بي سي" الإذاعية: "هذا أمر لا يمكن الدفاع عنه... كل تفصيلة في الحقيقة مروعة... من صديق إلى آخر، هذا يجب أن يتوقف".

ولكن من المؤكد أن جميع الضربات الأخرى التي استهدفت قوافل المساعدات لم يكن من الممكن الدفاع عنها، الشيء الوحيد الذي اختلف هذه المرة هو جنسية الأشخاص الذين كانوا في السيارات، وجميعهم من دول تدعم استمرار الحرب.

كان بإمكان فيراري أن يتوصل إلى استنتاج مفاده أن تصرفات إسرائيل في استهداف قوافل المساعدات لا يمكن الدفاع عنها منذ اليوم الأول لهذه الحرب، وأن يقول ذلك على الهواء كل يوم منذ ذلك الحين، ما الذي أوقفه؟ أنه يصف نفسه بأنه صديق لإسرائيل، صديق من؟ ربما يجب أن يسأل نفسه.

صديق للفصل العنصري؟ صديق للإبادة الجماعية؟ صديق للمجاعة الجماعية؟ صديق للمستوطنين الذين يشعلون النار في القرى العربية؟ صديق للتعصب الديني؟ صديق للفاشية؟

سخط بايدن المزيف

ولكن لا يمكن لأي رد فعل أن يكون أقل ملاءمة من السخط المزيف الذي يتلفظ به رئيس أمريكي كبير السن يسعى إلى إعادة انتخابه.

وقال جو بايدن إن حملة القصف على رفح، حيث يتجمع 1.5 مليون لاجئ "ستتجاوز الخط الأحمر"، وقال إن الهجوم على قافلة المطبخ المركزي العالمي أظهر أن إسرائيل "لم تفعل ما يكفي لحماية" قوافل المساعدات، كما لو أنها فعلت أي شيء أكثر من مجرد تكديس المساعدات على الحدود وقصف توزيعها باستمرار.

أخفض الصوت، وتجاهل بيانات القلق الصادرة عن البيت الأبيض ووزارة الخارجية، وركز فقط على تصرفات بايدن.

يتمتع بايدن بسلطة وقف جميع الأسلحة، بما في ذلك توريد القنابل التي يبلغ وزنها 2000 رطل، أو في الواقع القدرة على وضع قيود صارمة على استخدامها، لكنه لم يفعل أيًا من ذلك.

ولم يُظهر أي تردد في القيام بذلك مع أوكرانيا، التي لا يُسمح لها بإطلاق أسلحة أمريكية الصنع على روسيا، لكن بايدن لم يضع مثل هذه الشروط على إسرائيل.

بل إن العكس هو ما يحدث، فبينما يتكهن علناً باستبدال نتياهو، يفكر في بيع ما يصل إلى 50 مقاتلة جديدة من طراز إف-15 لإسرائيل، و30 صاروخ جو-جو متطور متوسط المدى من طراز أيم-120، بالإضافة إلى مجموعات ذخيرة الهجوم المباشر المشترك، وهي معدات يمكنها تحويل "القنابل الغبية" إلى أسلحة موجهة بدقة، كما ذكرت صحيفة بوليتيكو لأول مرة.

وطائرات إف-15 الجديدة ليست مخصصة لقصف غزة، لكنها مخصصة للمواجهات الجوية مع إيران وطائراتها العديدة بدون طيار.

ماذا فعل بايدن أيضاً هذا الأسبوع؟ أرسل جيك سوليفان، مستشاره للأمن القومي، للضغط على ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان للتوقيع على اتفاقيات إبراهيم.

مزاج الثورة المعدي

إذا كان بايدن يعتقد جدًّا وسط الفوضى التي أحدثتها حرب إسرائيل المستمرة منذ ستة أشهر، أن التوقيع على قطعة من الورق سيكون كافياً لوقف الثورة التي تجري في القلوب العربية من عمان إلى

المغرب، فإنه أكثر وهمًا مما يعتقد مراقبو الرئيس المحترفون في الكابيتول هيل.

تقف المملكة الأردنية على صفيح ساخن، وحكومتها غير قادرة على اتخاذ قرار بشأن ما يجب القيام به: مواجهة المسيرات التي تهز عمان منذ أكثر من أسبوع من خلال اعتقال منظميها والمتحدثين فيها؛ أو الإشادة بالاحتجاجات باعتبارها تعبيرًا عن المزاج الوطني.

وقد حاول وزير الإعلام الأردني الأسبق سميح المعاينة، في حديث لقناة الحدث السعودية، توجيه أصابع الاتهام إلى خالد مشعل، الرئيس السابق للجناح السياسي لحركة حماس، الذي نجا من محاولة اغتيال على يد الموساد في الأردن.

ولكن كما يعلم المعاينة جيدًا، فقد أصبحت الاحتجاجات أكبر بكثير من مجرد تعبير عن التضامن مع غزة، إنها استعراض للقوة من جانب العشائر؛ حيث يتفوق سكان الضفة الشرقية على الفلسطينيين في تحديهم لسلطة الملك.

إن مزاج الثورة معه، تمامًا كما كان في بداية الربيع العربي، وتردد صدى المسيرات في عمان مع المظاهرات الحاشدة في المغرب والتقابات في القاهرة؛ حيث يشعر الطغاة الذين قمعوا الربيع العربي بالقلق، وبدأوا في تقديم الدعم لبعضهم البعض.

إنه من الواضح ما الذي يحدث، وماذا سيحدث إذا سُمح لإسرائيل بمواصلة هذه الحرب لمدة ستة أشهر أخرى.

يتطلب الأمر الكثير للاعتراف بأن حلم العمر المتمثل في وطن لليهود في الشرق الأوسط يتحول إلى كابوس، ولكن بالنسبة لجميع أولئك الذين يدعمون هذا المشروع، فإن هذا هو ما يحدث.

المصدر: ميدل إيست آي